

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة الأولى - العدد الثاني - صيف ١٣٩٠ ش / حزيران ٢٠١١ م

## وقفه نقدية مع نتاجات الشاعر الإيراني جامي

على گنجيان خناری\*

فاطمة نصراللهی\*\*

### الملخص

ظهر في إيران وفي القرن التاسع من الهجرة شاعر بارع وعارف سالك خلف نتاجات شعرية وثريّة عديدة لاتزال مرجعا علميا للمحققين، وطالبي الأدب والتصوف إلى يومنا هذا. ولد عبدالرحمن جامي سنة سبع عشرة وثمانمائة في مدينة جام في بيت علم وورع. بدأ دراسته منذ الطفولة عند أبيه ودخل مجالس العلم، وتلمذ عند كبار الأساتذة، وأخذ منهم العلوم المختلفة كالفقه والفلسفة والحكمة وغيرها. وله أيضا مقدرة شعرية عالية، رفعتة إلى أعلى الدرجات الأدبية بين شعراء الفرس. وهو بسبب ميله إلى التصوف التحق إلى الطائفة النقشبندية المشهورة حيث كانت تضمّ كبار مشايخ الصوفية، فالتزم بمبادئها حتى أصبح فيما بعد شيخا من شيوخها، وواعظا من وعاظها. أما آثاره فمنها الشعر ومنها النثر، وهي تمثل براعة الشاعر الأدبية، و لا تخلو من نزعاته الصوفية، ومنها ديوان شعره الذي يشتمل على القصائد والغزليات والرباعيات والدوبيت، وهو مملوء بالوعظ والحكمة والحب الخالص لمبدأ الحياة ومقصدها. عاش جامي إحدى وثمانين سنة وتوفي سنة ثمان وتسعين وثمانمائة في هرات ودفن فيها. فجاء هذا المقال كي يلقى الضوء على نتاجات هذا الأديب الإيراني البارع. الكلمات الدليلية: جامي، التصوف، الصوفية، العارف، الشاعر، الأديب.

\*. عضو هيئة التدريس بجامعة العلامة الطباطبائي - أستاذ مساعد.

\*\* خريجة جامعة آزاد الإسلامية في كرج.

التنقيح والمراجعة اللغوية: د. عبدالحميد أحمدى.

Aliganjian1969@yahoo.com

تاريخ القبول: ١٣٩٠/٥/١٨ هـ. ش

تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٤/١٢ هـ. ش

## المقدمة

أخذ التيموريّون بمقاليد الحكم بإيران في القرن التاسع للهجرة. وباستقرار حكومتهم شرقي البلاد رجع الأمن والسلام إلى المجتمع الإيراني بعد أن تعرّض بسبب المنافسات السياسية لأنواع من الفتن والمحن، وفي ظلّ هذا السلام حصل تقدم كبير. وكان من ميزات هؤلاء الملوك الاهتمام بالعلم والأدب، وكان بلاطهم لا يخلو من العلماء والأدباء والفنّانين، فازدهرت العلوم المختلفة في هذا العصر بصورة ملحوظة، منها: علم الفلك، والرياضيات، والحكمة، والكلام، والفقه، والأصول، والتصوف، والشعر، والنثر. وظهرت نتاجات أدبية مهمّة على أيدي كثير من أدباء هذا العصر ومن بينهم الشاعر الصوفي عبدالرحمن جامي. (زرين كوب، ١٣٦٣ش: ٦٣)

## جامي نشأته وتطوّر حياته الاجتماعية والأدبية

اجتمع مؤرخو تاريخ الأدب الفارسي على تاريخ واحد لولادة جامي، وهو وثيق لأنّه ثبت ذلك عن تلميذه الذي كان يعيش في عصره وهو عبد الغفور لاري حيث يقول: «كان مولده في خرجرد في جام وقت العشاء الثالث والعشرين من شعبان المعظم سنة سبع عشر وثمانمائه.» (لاري، ١٣٤٣ش: ٣٩) و عن اسمه ولقبه يقول: «كان لقبه الأصلي عماد الدين، ولقبه الذي اشتهر به نور الدين، واسمه عبد الرحمن.» (المصدر نفسه: ٣٩) ولقد أشار جامي نفسه إلى تاريخ ولادته في قصيدة سماها رشح بال بشرح حال:

- في سنة سبع عشر وثمانمائه من الهجرة النبوية.
- جنّت من عالم الملكوت إلى عالم الملك، أي هذه الدنيا الفانية. (جامي، ١٣٤١ش:

(٥٩)

وفي مقدمة ديوان أشعاره «فاتحة الشباب» يتحدّث عن مولده وسبب تخلّصه بجامي بقوله: «وبما أنّ مولد هذا الفقير كان في جام، وفيها المرقد المطهر والمشهد المعطر لشيخ الإسلام أحمد جامي اخترت لنفسي جامي.» (جامي، ١٣٨٣ش: ١٦)

وقد ذكر سبب تخلّصه في القصيدة السابقة قائلاً:

- مولدی جام و قدرة قلمی مستمدّة من وجود شیخ الإسلام أحمد جامی.  
- لهذین السببین جعلت تخلصی الشعری جامی. (جامی، ١٣٤١ش: ٧٦)  
وَأَبَان عبد الغفور لاری عن نسب جامی بقوله: «كان والده أحمد بن محمد الدشتی  
من سهل إصفهان وهی من أحيائها. وجدّه مولانا محمد تزوّج من إحدى بنات الإمام  
محمد الشيباني وكان مولانا أحمد والد جامی منها.» (لاری، ١٣٤٣ش: ٤٠)

### دراسته

«هاجَرَ والد جامی، نظام الدين الدشتی، وأهله من سهل إصفهان إلى جام وشغل  
منصب القضاء والفتوى.» (آل رسول، ١٣٨٣ش: ١٢) فبدأ جامی مشواره الدراسي هناك  
تحت إشراف أبيه المباشر وهو في سنّ الطفولة، كما يشير إلى ذلك لاری بقوله: «ذات  
يوم دار الحديث عن أساتذته، قال: إنني تلميذ أبي حقًا، فقد تعلّمت اللغة منه، وبين أنه  
تعلّم الصرف والنحو عند أبيه.» (لاری، ١٣٤٣ش: ١١)  
ثم انتقل جامی لما كان شابًا مع أبيه إلى مدينة هرات، يقول عبد العلي نور أحراری:  
«هاجر نظام الدين أحمد وولده عبدالرحمن من جام إلى هرات عاصمة خراسان. كان  
شاهرخ التيموري حاكمًا ذاك الزمن على ملك خراسان الواسع، ومن أثر اهتمامه  
أصبحت هرات من أعظم المراكز العلمية. ولم يكن جامی قد بلغ سن الرشد آنذاك.»  
(جامی، ١٣٨٣ش: ١٩)

التحق جامی بمجالس العلم في هرات، وهو شابّ مستعدّ لتلقّي العلوم، تقول  
آل رسول: «قد استقبلت مجالس الدرس ومحافل العلم والأدب في هرات هذا الطفل  
المستعد، أدرك أساتذته من البداية ذكاه النادر في فهم المسائل العلمية وتعلّمه العلوم  
البلاغية والكلامية، وما لبث أن برع في العلوم النقلية والعقلية، وانفرد في عصره وطار  
صيته في العالم.» (آل رسول، ١٣٨٣ش: ١٤) يقول جامی عن دراسته: «ثمّ انصرفتُ إلى  
كسب العلوم وتابعت العلماء والفضلاء.» (جامی، ١٣٤١ش: ٦٠)

وأما أساتذة جامی الذين تَوَلَّوا أمر تعليمه في هرات، فيحصيهم عبد الغفور تلميذ

جامي على ترتيب أقدميّتهم، ويقول: «ولما جاؤوا إلى هرات، كان فيها مولانا جنيد، وهو رجل بارع في العلوم العربية، وحينما حضر جامي درسه كان جنيد مشغولا بتدريس شرح المفتاح أو المطول، وقد أحسّ جامي برغبته في الإلمام بهذا العلم، وانصرف إلى قراءة المطول وحاشيته، ثم شارك في درس مولانا خواجه على السمرقندي، الذي كان من أعظم المدققين في عصره، وهو أذكي وأقوى تلميذ للسيد الشريف الجرجاني، وبعد ذلك كان يذهب إلى أبيه مولانا محمد الجرجاني، وهو من الفضلاء الباحثين في عصره.» (لاري، ١٣٤٣ش: ١١)

وبعد مضي عدة سنوات، ترك جامي هرات، وذهب إلى مدينة سمرقند ليواصل دراسته، وهناك تعرّف على معلم جديد يقول عنه لاري: «بعد ذلك حضر في سمرقند في درس قاضي زاده الرومي، وهو كان من المحققين في عصره. في زيارته الأولى وقع بينهما بحث، وطال هذا البحث حتى استطاع جامي اقناع الأستاذ بكلامه.» (المصدر نفسه: ١٢)

كما ورد آنفا كان جامي تلميذا سريع الخاطر، ومتقدّما في العلوم بسرعة لا توصف، على رغم أنّه لم يكن يحضر في صفوف الدرس كسائر التلاميذ، كما يقول لاري عنه: «في أيام دراسته التي كان فيها مهتمّا بالدرس في كثير من الأوقات، كان يأخذ الكراسة من أحد زملائه، ويأخذ في مطالعتها لحظة، وعند الحضور في الدرس كان يفوق الحاضرين في الصف. كانت مدة دراسته قصيرة وبراعته في العلوم الحقيقية والرسمية من الأصول معروفة ومن الفروع مشهورة.» (لاري، ١٣٤٢ش: ١٠)

وكان ذكاؤه بحيث يتفوق على أساتذته، وهذه قضية يؤيدها كلّ من كان على صلة به، وهو نفسه أول شخص يُعبّر عن هذا الموضوع ويقول: «ما كانت مدة دراستي عند أساتذتي طويلة بحيث أنّهم ما غلبوا عليّ في الدرس ولكنني غلبت عليهم، وكنا في المستوى الواحد في العلم وليس لهم في ذمتي حقّ عليّ بوصفهم أساتذتي.» (حكمت، ١٣٨٦ش: ٦٤)

ويؤكد براون ما أشار إليه حكمت قائلا: «كان لجامي ذكاء خاص منذ طفولته،

وكُلِّما زاد عمره زاد اكتسابه للعلوم أكثر، وكان ينصرف إلى تكميل دراسته عند الأساتذة المشهورين، ولكن ما يلبث أن يتفوق عليهم، ومن ثمّ يكتسبون هم عنده المعرفة.» (براون، ١٣٥١ش: ٧٥٠)

ويقول أستاذ جامي، قاضي زاده الرومي: «منذ أن كانت سمرقند وحتى اليوم لم يعبر أحد بحر آمويه إلى شاطئه الآخر بقوة طبع هذا الشاب، أي جامي، وقوة تصرفه.» (جامي، ١٣٨٣ش: ٢١)

هكذا كان جهد جامي في كسب العلوم والمعارف، وقد تفوّق على معاصريه من زملائه وأساتذته وبَلَغ درجاتٍ علميةً ما بلغها أحدٌ في عصره.

### تصوفه

كان من خصائص القرن التاسع انتشارُ عقائد الصوفية في الممالك الإسلامية عامة وفي إيران خاصة ولاسيما شرقيّ البلاد. كان من خُلُق تيمور الإكرام والتعظيم لمشايخ الصوفية وأعظم التكايا، كما أنّه كان إذا دَخَلَ مدينة يذهب إلى زيارة الشيوخ أولاً ثمّ إلى زيارة أكابرهم من الأموات ويستمدُّ منهم العون في الأمور. هذه العقيدة شاعت بين أعقاب تيمور وأحفاده ولأجل هذا الدعم السياسي تفوّقت الصوفية على الفرق الأخرى فالتحق الكثير من أهل العلم والأدب بطائفة من طوائفها. (جامي، ١٣٨٦ش: ٦-٧)، ومنهم جامي الذي يقول عن اعتصامه بالصوفية: «دخلتُ في الطائفة الصوفية الصافية قلوبهم وهم الذين يعملون بعلمهم وهذا مقصدهم.» (جامي، ١٣٤١ش: ٦١)

والطائفة التي اختارها جامي ومال إليها هي الطريقة النقشبندية التي يقول عنها حكمت: «تشكّلت فرقة معتدلة ولكنها كانت متعصبة لأهل السنة وموافقة لسلطين العصر في ماوراء النهر وانتشرت في أواخر القرن الثامن انتشاراً عظيماً وهذه الجماعة هي الفرقة النقشبندية التي قد أسّسها خواجه بهاء الدين عمر البخاري (المتوفى بسنة ٧٩١هـ) وانصرف الكثيرون من الناس إلى هذه الطائفة في بخارا وسمرقند حتى أقصى خراسان وبعد ذلك في الهند وشاعت شيوعاً عظيماً.» (حكمت، ١٣٨٦ش: ٧)

وأما سبب انخراط جامي في الفرقة النقشبندية فلم يكن سبباً عادياً مألوفاً بل كان شبيهاً بالإلهام كما نقل عبد الغفور لاري في كتابه: «ذات ليلة، كأنها ليست بليل بل هي صُبح السعادة الذي أشرق من أفق فضل ذي الجلال والإفضال من مشرق اللطف التقى بقدوة العرفاء الكاملين سعد الملة والدين كاشغري وسمع بأذن الفطرة أنه قال: اذهب وخذ بناصِرٍ لا حيلة منه.» (لاري، ١٣٤٣ش: ١٢)

وهكذا دعاه سعد الدين كاشغري مرشداً الطريقة النقشبندية إلى نواحي هرات ولبي جامي هذه الدعوة وأسرع إلى هرات، يقول عنه لاري: «هو تأثر بهذا الحادث وتوجه إلى جانب خراسان وأراد الوصول إلى سعد الدين الكاشغري.» (المصدر نفسه: ١٣)

بعد أن رجع جامي إلى هرات وجد سعد الدين الكاشغري لزم الطائفة النقشبندية والتحق بالصوفية، يقول لاري: «كان يجلس سعد الدين الكاشغري على باب المسجد الجامع في هرات القريب من بيته ويتكلم مع المتصوفة وكان ممر جامي في كل يوم من هناك، كلما يمر أمام الخواجة يقول: هذا رجلٌ عجيب الكفاية، هو جذبنا ولكن لاندري كيف نأخذه. في أول يوم زاره قال: وقع نسرٌ في شبكتنا.» (المصدر نفسه: ١٣ - ١٤) استقر جامي في موطن المتصوفة وبدأ بالقيام بأعمالهم والالتزام بشعائهم تحت إشراف مرشده، ووضع قدمه في طريق السير والسلوك وفي مسيرته تعرّف على عدد كثير من شيوخ الصوفية واكتسب الفوائد الجمة منهم. إن آخر مرشد لجامي ومراد له والذي ما قطع جامي صلته به وكان مريدَه حتى نهاية عمره هو خواجة ناصر الدين عبيد الله المشهور ر بخواجه أحرار الذي يقول على أصغر حكمت عنه: «وأما خواجة ناصر الدين عبيد الله مرشد الطائفة النقشبندية في خراسان وما وراء النهر والذي كان معاصراً لجامي ومعتزلاً بعظمته وكان في مختلف كتبه يخاطبه بالأستاذ والمخدوم، فهو من كبار الرجال في هذا العصر.» (حكمت، ١٣٨٦ش: ٧٢)

فالانصراف إلى التصوف كان أكبر حادث في حياة جامي وقد أحاط بكل جوانبها، وسماته بيّنة في آثاره تماماً بحيث أن الحكمة والإرشادات الإلهية ملأت نظمه ونثره.

## زواجه وأولاده

تزوج جامي بإحدى بنات مراده سعد الدين الكاشغري، يقول عنه فخر الدين علي صفي: «ولا يخفى أنه كانت لخواجه كلان، الابن الكريم لمولانا سعد الدين الكاشغري، بنتان تزوجت إحداهما من جامي والأخرى من راقم هذه السطور.» (حكمت، ١٣٨٦ش: ٧٦)

وفيما يتعلق بأولاد جامي جاء في كتاب رشحات عين الحيوة: «أنجبت تلك الصبيبة لجامي أربعة أبناء، ولم يتمتع الأول منهم بالحياة إلا يوماً واحداً ولم يُسم، والثاني و هو الخواجه صفي الدين محمد تُوفى بعد سنةٍ وحزن جامي على وفاته حزناً شديداً والثالث الخواجه ضياء الدين يوسف وقد وُلد سنة ٨٨٢ هـ والرابع الخواجه ظهير الدين عيسى الذي أبصر النور تسع سنوات بعد ولادة أخيه الخواجه ضياء وكانت ولادته سنة ٨٩١ هـ وتُوفى بعد أربعين يوماً.» (المصدر نفسه: ٧٦-٧٩) وجاء في كتاب منشآت جامي في معرض الحديث عن أولاده: «لقد مات أولاد جامي كلهم في حياته إلا ضياء الدين يوسف، ونظم مولانا في رثاء ولده صفي الدين قصيدة في سبعة مقاطع موججة بعاطفة الحزن الشديد. وكان مولانا جامي يحب ولده ضياء الدين يوسف حباً جماً ولهذا السبب نرى أنه يذكر اسمه في آثاره المنظومة والمنثورة وينصحه ويدعوله بالخير.» (جامي، ١٣٨٣ش: ٣٤)

## وفاته

يتحدث عبد الغفور لاري عن وفاة أستاذه - جامي - قائلاً: «عاش جامي إحدى وثمانين سنة وكان هذا بعدد حروف كلمة كأس.» فحينئذ أخذ الساقى في حانة وحدة ذي الجلال والإفضال كأس لقاء الرب بيده وذلك في الثامن عشر من محرم الحرام سنة ثمان وتسعين وثمانمائه، وفي السنة الأخيرة من عمره بدت آثار الموت عليه وكان يتفوهُ بعبارات تدلّ على دُنُو رحيله ويسعى في إعداد الآخرين للمفارقة ويكرّر هذين البيتين:

- واحسرتاه فإن الدهر سُنِينَتْ الزهر وسيأتى الربيع كثيراً ونحن لسنا موجودين.  
 - تأتى الشهور وتنقضى وإننا تبدلنا إلى التراب وإلى اللبنة.  
 وقبل مرضه بعدة أيام عزم جامى على الذهاب إلى إحدى مناطق المدينة، اضطرب  
 الأصحاب لحاله وطلبوا منه الرجوع ولكنه قال: يجب أن نترك بعضنا بعضاً.  
 وخاطب أحد مريديه، قبل مرضه بثلاثة أيام، قائلاً: «أشهد أننا لسنا رهين محبة أحد.  
 وبعد رجوعه إلى البيت بدأ المرض؛ وفي صباح يوم الجمعة، اليوم السادس من مرضه،  
 والثامن عشر من محرم الحرام، كشفت حركة نبضه عن قرب رحيله إلى دار القرار... فما  
 إن نؤدى للصلاة من يوم الجمعة حتى رحل جامى من مقام الفناء إلى دار البقاء... وفي  
 صباح يوم السبت حضر فى جنازته حاكم الزمان السلطان بهادر خان مع كبار الأمراء  
 والوزراء و أكابر الزمان، وذهبوا بها إلى مقبرة سعد الدين الكاشغرى. ففتحت الأرض  
 فمها كالصدف وجعلت هذه اللؤلؤ القِيَمَة فى صدرها.» (لارى، ١٣٤٣ش: ٤٠-٤٤)

#### شاعريته

من أهم القضايا التى دعت إلى القيام بهذا البحث هى طبع جامى الشعرى إذ نراه أنه  
 كان شاعراً كبيراً جداً وسجله الأدبى مملوءاً بالأشعار البديعة واللطيفة، والمعانى العميقة  
 والحكيمة، ولهذا السبب يُعرف فى إيران بأكبر شاعر فى القرن التاسع للهجرة ولُقِّبَ  
 بخاتم الشعراء، يقول على أصغر حكمت فى هذا المجال: «كان من کمالات أستاذ جام  
 ذوقه الشعرى الذى اشتهر به فى عصره؛ وقد كان معروفاً بشاعريته عند أكثر الناطقين  
 باللغة الفارسية فى إيران وتركستان والهند، ولُقِّبَ بخاتم الشعراء لأنه انقضى بوفاته نظم  
 الشعر بأسلوب الشعراء القدامى؛ الأسلوب الذى كان مُتَّبَعاً فى خراسان وفارس والعراق؛  
 وبعد وفاته حتى القرن الثالث عشر لم يشرق نجمٌ مثل تلك النجوم القديمة فى أفق  
 الأدب الفارسى.» (حكمت، ١٣٨٦ش: ١١١)

كان الشعر أمراً فطرياً عند جامى، فأكَبَّ على نظم الشعر طوال عمره من شبابه إلى  
 مشيبه. وقد أقرَّ بأنه ما استطاع أن يترك نظم الشعر فى كلِّ وقت من الأوقات، ويقول



في مقدّمة ديوانه الأول عن مقدّراته الفطرية في نظم الشعر: «الفقير المنكسر، عبد الرحمن جامي، الذي لم يتخلّص من ظلام الكون بسبب أنّ الله تعالى جعل في فطرتي ذوق نظم الشعر والحبّ له، وما استطعتُ أن أزيله تماماً عن صفحة قلبي أبداً. لا جرّم أنّ من بداية الشباب الذي هو عنوان صحيفة الحياة حتى اليوم الذي تجاوز عمرى الستين وهو قريب من السبعين، ما كان التحرّر منه ممكناً وما كان لبالى راحة منه.» (جامي، ١٣٨٣ش: ٢٤)

يشكو جامي من اشتغاله بنظم الشعر في قصيدته رشح بال بشرح حال، ويقول:

- مررتُ من جبل الطور ولكن ما استطعتُ أن أترك نظم الشعر أبداً.

- تُبْتُ من نظم الشعر آلاف المرات ولكن ما وُفِّقْتُ بتركه. (جامي، ١٣٤١ش: ٤١)

يُشير عبد الغفور لاري إلى شغف أستاذه بإنشاد الشعر طول حياته بقوله: «إنّه كان ينظم الشعر في جميع الأوقات وكان منشغلاً به في أوائل الحال وفي وقت الكمال. ولكنّه لم يُخصّص له من الوقت إلّا قليلاً.» (لاري، ١٣٤٣ش: ٤)

كان جامي يحدّد لنظم شعره قسماً يسيراً من وقته لأنّه كان ذا مقدرة فذة في قرض الشعر من جانب، ومن جانب آخر كان الشعر أصغر كمال بين كمالات جامي وأقلّ فن بين فنونه الأخرى القيّمة، يقول لاري: «كان الشعر لثاماً لوجه الأسرار، الشعاعية ساترة لحاله، فهذان الأمران كانا في الحقيقة سدّين لفضله وكماله، وكان الناس يعتبرون الشعر من أفضل فضائله ولكنّه هيهات، إنّ الشعر مُكوّن من الخيال وأين الكمال من الخيال؟» (المصدر نفسه: ٩)

أصبح جامي مشهوراً بشعره بحيث طار صيته إلى أقصى نقاط العالم ولفت انتباه الملوك والسلاطين في البلاد الأخرى وكانوا يعجبون بشعره وقد أشار الشاعر نفسه في قصائده إلى مكانته الشعرية التي وصل إليها:

- أصبحتُ مشهوراً بشعري في كلّ العالم بحيثُ قد ملأت السماء من هذا النشيد،

- لو ذهبت قافلة أشعاري إلى فارس لرضيت بها روح سعدى وحافظ.

- ولو أنّجهت إلى الهند لقال خسرو والحسن يا غريب العالم مرحباً بك، تعال تعال.

كان جامي عالماً متواضعاً وهذه الميزة بارزة في جميع أحواله وآثاره ويشهدُ به كلُّ أصحابه وأقرانه ولهذا السبب نراه عندما يتحدَّث عن مواهبه وعلمه بحيثُ يشعُرُ القارئ بأنَّه مغتَرٌّ بنفسه، يسعى بسرعة إلى تدارك الأمر والرجوع إلى تواضعه المعهود، ويقول:

- الفضائل التي أَحصَيْتُها لنفسِي في هذه القصيدة كانت خطأً ومحالاً.

- التظاهر بالعلم عملٌ سَيِّءٌ، ولهذا من الأفضل أن يُكْتَبَ اسمِي في فهرس الجُهَّال.

(المصدر نفسه: ٦١)

### جامي والأدب العربي

كان جامي مُلمِّماً باللُّغة العربية وأسرارها متذوقاً لآدابها؛ جاء في كتاب جامي: «لقد كان شاعرنا جامي ذا باع طويل في علوم التفسير، واللغة، والتاريخ، والحديث، والشعر، بحيثُ أثر ذلك تأثيراً بالغاً على نتاجاته الفارسية من جهة تركيب الجمل والكلمات حيناً ومن جهة اتخاذ النصوص والمعاني حيناً آخر؛ وكان له في الأدب العربي كنزٌ وافزٌ وخزانة كاملة قد نثرَ منه اللآلي الرطبية والدُرر الملوَّنة على بساطه العلمي.» (حكمت، ١٣٨٦ش: ١٢٦)

وبراعته في اللُّغة العربية كانت بحيثُ أنه أَلَفَ حولها كُتُباً قيِّمة أصبحت مرجعاً لطلّاب علوم هذه اللُّغة؛ يقول حكمت: «كتابُ الفوائد الضيائية الذي أَلَفه لولده ضياء الدين يوسف شرحٌ لكتاب الكافية، لابن حاجب، ويعتبر عند المحققين من أحسن الكتب في علم النحو، ويقوم بتدريسه معلِّمو اللُّغة العربية حتى يومنا هذا ويستعينون به لمعرفة ما صُعِبَ عليهم من هذا الفن.» (المصدر نفسه: ١٢٧)

جاء في كتاب روضات الجنات تفسيراً لكتاب الفوائد الضيائية، ما يلي:

«وهو من أحسن ما كتب في هذا الموضوع، وأدقها نظراً، وأبلغها تقريراً وأتمها تهذيباً وتحريراً، وأجمعها للنكات والدقائق والتحقيقات، ونُقِلَ عن المولى ميرزا محمد الشرواني الفاضل قوله: إنني درست هذا الشرح خمساً وعشرين مرة وصار اعتقادي في كل مرة أنني لم أستوف حق فهمه ومعرفته في المرة السابقة.» (المصدر نفسه: ١٢٧)

كان جامي بارعاً في ترجمته للنصوص العربية أيضاً وقد قام بترجمة كثير من المعاني العالية التي وردت في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، وأخبار أعظم الصوفية، وأمثال العرب، وحكمهم، وأشعارهم إلى اللغة الفارسية؛ وكانت قصائده الأخلاقية مرآة للأفكار العربية وآدابها، وكانت غزلياته التي ضمت في طياتها أبياتا عربية من أحسن الصور وأجمل الأمثلة لامتزاج اللغتين الفارسية والعربية، فاتصفت نتاجاته بفصاحة كلام الناطقين بالضاد وبلاغتهم، وجزالة كلام أبناء العجم. (المصدر نفسه: ١٢٧-١٢٨)

فمن النماذج الدالة على ذلك قوله:

أحنّ شوقاً إلى ديار لقيت فيها جمال سلمى

که میرساند از آن نواحی نوید لطفی بجانب ما

زهی جمال تو قبله جان حریم کوی تو کعبه دل

فإن سجدنا إليك نسجد وإن سعينا إليك نسعى

بکت عیونی علی شوونی فساء حالی ولا ابالی

که دانم آخر طبیب وصلت مریض خود را کند مداوا

بناز گفתי فلان کجایی چه بود حالت در این جدایی

مرضت شوقاً و مت هجرا فکیف أشکو إليك شکوی

(جامي، ١٣٤١ ش: ١٢٧)

### آثاره و نتاجاته

ترك لنا عارف جام آثاراً عديدة بدأ بتأليفها من منتصف عمره إلى آخره؛ ومواضيع تأليفاته مختلفة كما عبّر عنها على أصغر حكمت قائلاً: «قد ظهرت ملكة التأليف والتحرير عند أستاذ جام من أواسط عمره، إذ إنّ فترة نبوغه وظهور تأليفاته تقع في القسم الثاني من عمره أي من الأربعين حتى الثمانين وما كتب خلال هذه الفترة ينقسم من حيث الشكل إلى نوعين، الكتب الفارسية والكتب العربية، ومن حيث المضمون إلى أنواع مختلفة: كالتفسير، والفقه، والعرفان، والحديث، والأخلاق، والشعر بقوالبه المتعددة

كالقصيدية والغزل، والعلوم اللغوية بفروعها المتنوعة كالصرف والنحو، والعروض والقافية، والمعما، وتراجم الرجال ومضامين أخرى. وتنقسم آثاره الفارسية إلى فئتين هما النظم والنثر. «(حكمت، ١٣٨٦ش: ١٦٥)

وكثير من كتب تواريخ الأدب ذكرت فهرسا لآثار جامى ولكن أدقها وأوثقها ما جاء فى تكملة رضى الدين عبد الغفور لارى مرید جامى ومرافقه فى حياته. فهو يُحصى لأستاذه سبعة وأربعين مؤلفاً يأتي شرحه فى التالى:

١. التفسير، وتوقف تفسيره عند آية (وإياى فارهبون).

٢. شواهد النبوة.

٣. نفحات الأنس، مطبوع عدة مرات فى الهند وفى طهران.

٤. نقد النصوص، مطبوع فى بمبئى قبل مئة سنة تقريباً.

٥. رسالة طريقه خواجگان، طبع فى الهند.

٦. أشعة اللمعات، مطبوع فى الهند وإيران.

٧. شرح فصوص الحكم، طبع فى مصر والهند.

٨. لوامع.

٩. شرح لبعض أبيات تأيية ابن الفارض.

١٠. شرح القصيدة الخمرية الميمية الفارضية.

١١. شرح الرباعيات.

١٢. اللوايح، طبع فى الهند وإيران.

١٣. شرح بيتين من كتاب المثنوى، طبع فى كابل.

١٤. شرح بيت لخسرو دهلوى، مطبوع فى إيران.

١٥. شرح حديث أبى ذر بن عقيل.

١٦. شرح سخنان خواجه پارسا، طبع فى الهند.

١٧. ترجمة أربعين حديثاً.

١٨. رسالة تحقيق مذهب الصوفى والمتكلم والحكيم.

١٩. رسالة في الوجود.
٢٠. رسالة جواب وسؤال هندوستان.
٢١. رسالة لا إله إلا الله.
٢٢. رسالة مناسك حج.
٢٣. هفت اورنگ مشتمل بر هفت كتاب:
٢٤. الكتاب الأول، سلسلة الذهب الذي طبع في الهند وإيران وطاشكند.
٢٥. الكتاب الثاني، سلامان وأبسال الذي طبع في إيران وطاشكند وإنجلترا.
٢٦. الكتاب الثالث، تحفة الأحرار الذي طبع في إنجلترا.
٢٧. الكتاب الرابع، سبحة الأبرار الذي طبع في الهند وإيران.
٢٨. الكتاب الخامس، يوسف وزليخا الذي طبع في إيران والهند وطاشكند وإنجلترا وألمانيا.
٢٩. الكتاب السادس، ليلي ومجنون الذي طبع في إيران وطاشكند وباريس وألمانيا.
٣٠. الكتاب السابع، خرد نامه اسكندري.
٣١. الديوان الأول.
٣٢. الديوان الثاني.
٣٣. الديوان الثالث.
٣٤. بهارستان والذي طبع في الهند وإيران وتركيا عدة مرات وفي ألمانيا وإنجلترا.
٣٥. الرسالة الكبيرة المعروفة بمعما (اللغز).
٣٦. الرسالة المتوسطة.
٣٧. الرسالة الصغيرة.
٣٨. منظومة أصغر التي طبعت في هرات.
٣٩. رسالة العروض والتي طبعت في كلكتة.
٤٠. رساله القافية.

٤١. رساله الموسيقى.
٤٢. رسالة المنشآت.
٤٣. الفوائد الضيائية في شرح الكافية والذي طبع في إيران عدة مرّات.
٤٤. شرح قسم من مفتاح الغيب الذي لم يطبع.
٤٥. صرف فارسي منظوم ومنتور.
- وفي مناسك الحجّ كتَبَ جامي رسالتين:
٤٦. رسالة صغيرة، وهي المشهورة.
٤٧. ورسالة كبيرة، وقد ألّفها على أساس فقه المذاهب الأربعة، وهو في طريقه إلى مكّة، وفقدت في عرفات ولهذا السبب ليست معروفة. «(لاري، ١٣٤٣ش: ٣٩)

### النتيجة

عاش جامي في عصر كان التصوف من أهمّ ظواهره. ومما ساعد على انتشاره واشتداد شوكته هو أن الملوك التيموريين وأمراءهم كانوا من حماة في منطقة حكمهم، وكان بلاطهم مختلف العلماء والأدباء فجمعوهم على التصوف فقوى بهم وانتشر بين الناس انتشارا سريعا. وجامي الذي لقب بخاتم الشعراء بسبب أسلوبه الخاص في الشعر قد وظّف قلمه لخدمة التصوّف ونشر تعاليمه فحمل بذلك رايته وبلّغ رسالته.

### المصادر والمراجع

- آل رسول، سوسن. ١٣٨٣ش. عرفان جامي در مجموعه آثارش. تهران: وزارت فرهنگ وارشاد اسلامي.
- براون، إدوارد. ١٣٥١ش. / از سعدي تا جامي. ترجمه على اصغر حكمت. تهران: انتشارات ابن سينا.
- جامي، عبدالرحمن. ١٣٤١ش. ديوان كامل. ويراسته هاشم رضی. تهران: انتشارات بيروت.
- جامي، عبدالرحمن. ١٣٨٣ش. رساله منشآت نورالدين عبدالرحمن جامي. مصحح عبدالعلي نور احرازي. تهران: شيخ الإسلام أحمد جام.
- حكمت، على اصغر. ١٣٨٦ش. جامي (متضمن تحقيقات در تاريخ احوال و آثار منظوم و منشور خاتم

- الشعراء نورالدين عبد الرحمن جامی). تهران: انتشارات توس.
- زرین کوب، عبد الحسين. ۱۳۶۳ش. سیری در شعر فارسی. تهران: انتشارات نوین.
- لاری، رضی الدین عبدالغفور. ۱۳۴۳ش. تکمله حواشی نفحات الأئس (شرح حال مولانا جامی).  
تصحیح بشیر هروی. تهران: انتشارات انجمن جامی.